بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

الجِبالُ في القرآنِ الكريمِ

الخُطبةُ الأُولَى:

الحمدُ للهِ الَّذي لا يبلُغُ مِدحتَه القائلونَ، ولا يُحْصِي نَعماءَه العادُّونَ، ولا يُؤدِّي حقَّه المجتهدونَ، الخالقِ بلا حاجةٍ، والمُميتِ بلا مَخافةٍ، والباعثِ بلا مَشقَّةٍ، كَتبَ على نفسه الرَّحمةَ، وسبَقَ عفوُهُ عِقابَهُ، لا يَخفَى عليه مِثقالُ ذرَّةٍ في الأرضِ ولا في السماءِ، ﴿لَا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الأنعام:١٠٣]، وأشهدُ ألَّا إلهَ إلَّا اللهُ وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ مُحمَّدًا عبدُه ورسولُه البشيرُ النَّذيرُ، والسِّراجُ المُنيرُ، خيرُ مَن صلَّى للهِ وقامَ، وحجَّ البيتَ الحرامَ وصامَ، فصلواتُ اللهِ وسلامُه عليه وعلى آلِ بيتِه الطَّيِّبينَ الطَّاهرينَ، وعلى أزواجِه أُمَّهاتِ المؤمنينَ، وعلى الصَّحابةِ، والتَّابعينَ ومَنْ تَبِعهُم بإحسانٍ إلى يَومِ الدِّينِ.

أمَّا بعدُ؛ أيُّها المؤمِنُ: انظُرْ كيفَ أحكَمَ اللهُ جوانبَ الأرضِ بالجبالِ الرَّاسِياتِ، الشَّوامِخِ الصُّمِّ الصِّلابِ! وكيفَ نَصَبَها فأَحسَنَ نَصْبَها! وكيفَ رَفَعَها وجعلها أَصْلبَ أجزاءِ الأرضِ؛ لِئلَّا تَضمحِلَّ على تطاوُلِ السِّنينَ، وتَرادُفِ الأمطارِ والرِّياحِ! بل أَتقنَ صُنعَها، وأَحْكمَ وَضْعَها، وأَودعَها من المنافعِ والمعادنِ والعُيونِ ما أَودعَها، ثُمَّ هدى النَّاسَ إلى استخراجِ تلكَ المعادنِ منها، وأَلهَمهم كيف يَصنعون منها النُّقودَ، والحُلِيَّ، والزِّينةَ، واللِّباسَ، والسِّلاحَ، وآلةَ المَعاشِ على اختلافِها، ولولا هدايتُه سبحانه لهم إلى ذلك؛ لَمَا كان لهم عِلمُ شيءٍ منه، ولا قدرةَ عليه.

الجبالُ وأثرُها في المسائلِ المتعلِّقةِ بالعقيدةِ:

أمَّا إثباتُ توحيدِ الرُّبوبيةِ فيتجلَّى في:

قولِه تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَى لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَنْ تَرَانِي وَلَكِنِ انْظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّى رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣].

وقولِه تعالى: ﴿أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [النمل: ٦١].

وقولِه تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾ [المرسلات: ٢٧]؛ ثابتاتٍ سامِقاتٍ، تتجمَّعُ على قِممِها السُّحُبُ، وتنحدرُ عنها مساقطُ الماءِ العَذْبِ. أفيكونُ هذا إلَّا عن قُدرةٍ وتقديرٍ، وحِكمةٍ وتدبيرٍ؟! أفبَعدَ هذا يُكذِّبُ المكذِّبونَ؟! ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٢٨].

هذه الجبالُ العِظامُ الرَّواسِي الشَّامخاتُ تحقِّقُ توحيدَ الأُلوهيَّةِ، فهي من عِبادِ اللهِ الَّذين لا يَعصُونه، بل تُسبِّحُه، وتسجدُ له، وتخشاه، حتَّى إنَّها لَتُعِينُ الرُّسلَ في دعوتِهم.

أمَّا التَّسبيحُ: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ٧٩]؛ فهذهِ الجبالُ لا تَفْتُرُ عن تسبيحِ اللهِ وعبادتِه، فأينَ نحنُ يا عِبادَ اللهِ مِن تسبيحِ اللهِ وذِكرِه على الدَّوامِ؟! بل إنَّ بعضَ البَشرِ يَكرهُ ذِكرَ اللهِ تعالى؛ كما في قولِه تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

وأمَّا السُّجودُ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ

وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ﴾ [الحج: ١٨]، وهذهِ رسالةٌ من الجبالِ الرَّواسي لكُلِّ مَن تَرَكَ الصَّلاةَ، فإنَّ هذهِ الجبالَ تَسجدُ للهِ تعالى، فاحْذرْ يا مَن قصَّرتَ في الصَّلاةِ، ويا مَن تَهاونتَ في صلاةِ الجماعةِ، ويا مَن تَهاونتَ في الصَّلاةِ النَّافِلةِ، وخُذْ مِن الجبالِ عِبرةً ودَرسًا.

وأمَّا الخَشيةُ: فمعَ طاعةِ الجبالِ للهِ تعالى؛ إلَّا أنَّها خائفةٌ وَجِلَةٌ، تَخْشى اللهَ، وتَخْشى غَضبَه وعِقابَه! فالأَوْلى بالبَشرِ أن يَخافوا اللهَ، ويَحذَروا مِن عِقابِه؛ ﴿إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

وأمَّا إعانةُ الرُّسلِ في دَعْوتِهم: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلًا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾ [سبأ: ١٠].

أمَّا الاعتبارُ بالجبالِ، فإنَّ النَّاظرَ في الجبالِ والمتأمِّلَ في خَلقِها لَيزدادُ إيمانُه؛ لِمَا يَرى مِن عَظَمتِها وكِبَرِ خَلقِها:

١. ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ (١٧) وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ (١٨) وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾ [الغاشية: ١٧-١٩]، فسُبحانَ مَن نَصَبَها ودَبَّرَ أَمْرَها.

٢. ﴿ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾ [الإسراء: ٣٨].

٣. ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَلْ لِلَّهِ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١].

٤. ﴿وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ الْجِبَالُ﴾ [إبراهيم: ٤٦].

٥. كما بَيَّنَ اللهُ ألوانَها -وفي ألوانِها العجائبُ والغرائبُ- فقالَ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ (٢٧) وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧-٢٨].

وقدْ مثَّلَ اللهُ بالجبالِ في القرآنِ على قضايا تَستوقفُك كثيرًا، ومِن الأمثالِ المتعلِّقة بالجبالِ:

١) أثرُ القرآنِ في الصَّخرِ الجامدِ لو تَنزَّلَ عليه: ﴿لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الحشر: ٢١]، تفكَّروا! فإنَّ لِهذا القرآنِ لَثِقَلًا وسلطانًا وأثرًا مُزلزِلًا، لا يَثبُتُ له شيءٌ يتلقَّاه بحقيقتِه.

٢) ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَى قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٣) وإليكَ مثالًا ومَشهَدًا آخرَ مِن مشاهدِ هذا الكَونِ الَّتي يَمُرُّ عليها النَّاسُ غافلينَ، وفيها مُتعةٌ للنَّظرِ، وعِبرةٌ للقلبِ، ومَجالٌ للتَّأمُّلِ في صُنعِ اللهِ وآياتِه، وفي دلائلِ النُّورِ والهُدى والإيمانِ: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَنْ مَنْ يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ [النور: ٤٣].

وقدْ جعلَ اللهُ من نعمِه في الجبالِ الكثيرَ:

أمَّا على مستوَى الأُممِ، فهؤلاءِ قومُ ثمودَ، وقدْ ذَلَّلَ اللهُ الجبالَ لهم، فكانت نعمةً مِن نعَمِه سبحانه لهم: ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ (٨٠) وَآتَيْنَاهُمْ آيَاتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ (٨١) وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا آمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٠-٨٢]، ولكنَّهم كَفَروا باللهِ، وما كَفَرتِ الجبالُ، فأهلكهم اللهُ، وتَرَكَ الجبالَ، ﴿فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾

[القصص:٥٨] شاهدةٌ على كُفرِهم وضلالِهم.

ومن نِعَمِه في الجبالِ:

- أنَّه ثبَّت الأرضَ بالجبالِ، ولولا الجبالُ لَفسدتِ الأرضُ وتلاعبَتْ بالنَّاسِ، فلا يرتاحون عليها؛ ﴿وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ [الرعد: ٣]، ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥].
- أنَّه جعلَ الجبالَ بُيوتًا ومَساكنَ للنَّحلِ، فقالَ: ﴿وَأَوْحَى رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنِ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾ [النحل: ٦٨].
- كما جعلَها بُيوتًا ومَساكنَ للنَّاسِ؛ ﴿وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ﴾ [النحل: ٨١].

ومن آياتِ اللهِ: أنَّه سبحانه هدَّد المُعاندينَ بجَعْلِ الجبالِ عقوبةً لهم:

أمَّا اليهودُ: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١].

وأمَّا النَّصارى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (٨٨) لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِدًّا (٨٩) تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا﴾ [مريم: ٨٨-٩١].

وفي نهايةِ المَطافِ أُبيِّنُ لكم حالَ الجبالِ في الآخرةِ: وهي المخلوقةُ العابدةُ للهِ تعالى، غيرُ العاصيةِ له سبحانه، ومع ذلك تدبَّرْ ما يَصنعُ اللهُ بالجبالِ في الآخرةِ وما يَحصُلُ لها، وهذا من أهوالِ يومِ القيامةِ:

أولًا: التَّسييرُ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٧]، ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ﴾ [النمل: ٨٨].

ثانيًا: الحَمْلُ والدَّكُّ: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) وَحُمِلَتِ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٣-١٤].

ثُمَّ تَمُرُّ الجبالُ في الآخرةِ بثلاثِ مراحلَ:

المرحلةِ الأُولى: يَنسفُها اللهُ ويُزلزِلُها حتَّى تكُونَ كالصُّوفِ؛ ﴿وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ﴾ [القارعة: ٥].

المرحلةِ الثَّانيةِ: يَنسفُها مرَّةً أُخرى حتَّى تتحوَّلَ إلى رَمْلٍ، ولكَ أنْ تتخيَّلَ ما يَحْصُلُ لها؛ ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا﴾ [المزمل: ١٤].

المرحلةِ الثَّالثةِ: يُسوِّيها بالأرضِ؛ ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا (١٠٥) فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا (١٠٦) لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلَا أَمْتًا﴾ [طه:١٠٥-١٠٧].

بارَكَ اللهُ لي ولكم في القرآنِ والسُّنَّةِ، ونفَعَني وإيَّاكم بما فيهما من الآياتِ والذِّكرِ والحكمةِ، أقولُ ما سَمِعتم، وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لي ولكم من كُلِّ ذنبٍ وخطيئةٍ؛ فاستَغفِرُوه وتوبوا إليه إنَّ ربِّي لَغفورٌ رحيمٌ.

الخُطبةُ الثَّانيةُ:

سَمعنا وعَلِمنا جميعًا ما حَدَث مِن قَتْلٍ وتفجيرٍ في مِنطَقةِ الأحساءِ لأَحدِ مساجدِها، من هذه الفئةِ الضَّالَّةِ الَّتي أَفسدتْ وظَلمتْ، وأَضرَّت بصورةِ هذا الدِّينِ العظيمِ، دِينِ الرَّحمةِ والإخاءِ والمَحبَّةِ، فهاجمتْ بُيوتَ اللهِ، وها هي تَرجِعُ مرَّةً أُخرى لتهاجمَ بُيوتَ اللهِ، وتقتُلَ المُصلِّينَ؛ مُتَّبِعةً لِسادتِها وقُدوتِها من المجوسِ؛ أمثالِ أبي لؤلؤةَ المجوسيِّ الَّذي قَتَل عمرَ بنَ الخطابِ ﷺ وهو يصلِّي الصُّبحَ في المحرابِ، ومُقلِّدةً للخوارجِ الضُّلَّالِ الَّذين قَتَلوا عَلِيًّا ﷺ وهو خارجٌ لِصلاةِ الصُّبحِ، ولا يُستغرَبُ من أتباعِهم وأذنابِهم في هذا العصرِ أن يهاجموا بُيوتَ اللهِ، ويُفسدوا فيها، ويَقتُلوا الآمِنينَ المصلِّينَ.

ثُمَّ إنَّ اختيارَ بلدِنا من بينِ بلادِ المسلمينَ له مَدلولٌ، فهُم بذلك يَخدُمون به الرَّوافضَ، ويَدعَمون به الكفَّارَ ضدَّ المسلمينَ، وضدَّ أهلِ السُّنَّةِ والجماعةِ، وضدَّ هذا البلدِ الكريمِ.

عِبادَ اللهِ: ادْعُوا اللهَ تعالى أن يُهلِكَ هذه الفئةَ، ويخلِّصَ المسلمينَ من شرِّها، فلعلَّ فيكم من هو مستجابُ الدَّعوةِ؛ فيستجيبُ اللهُ له، ويخلِّصَنا من شرِّهم، فقدْ فجَّروا المساجدَ، وروَّعُوا الآمِنينَ، وكفَّروا آباءَهم وأُمَّهاتِهم وأهليهم، وقتَلُوهم، وفَعَلوا الأفاعيلَ، فأَسألُ اللهَ في هذه السَّاعةِ المبارَكةِ أن يخلِّصَنا منهم، وأن يَجعلَ تدبيرَهم تدميرًا عليهم، وأن ينصُرَنا، وينصُرَ أهلَ الإسلامِ والمجاهدينَ من أهلِ الإيمانِ على مَن عاداهم، وأن يوفِّقَ وُلاةَ أمرِنا لِما فيه خيرُ الإسلامِ والمسلمينَ، وينصُرَ جُنودَنا ورجالَ أمننا –في الدَّاخلِ أو على الحُدودِ– على الرَّافضةِ ومَن ساعَدهم ومَن وَقف معهم، وعلى هذه الفئةِ الضَّالَّةِ من الخوارجِ ومَن دَعَمهم وتستَّر عليهم.

عِبادَ اللهِ: إنَّ المسؤوليَّةَ في مواجَهةِ هذه الفِتنةِ مسؤوليَّتُنا جميعًا، وإذا كانت أجهزةُ الأمنِ تقومُ بدَورِها مشكورةً في رصْدِ وتتبُّعِ هذه الفئةِ، ومنْعِها من ارتكابِ جرائمِها؛ فإنَّ الدَّورَ الأكبرَ على العلماءِ والمفكِّرينَ والمُربِّينَ في اجتثاثِ هذا الفكرِ من جُذورِه، وعلى الجهاتِ والهيئاتِ الدِّينيَّةِ والثَّقافيَّةِ ومؤسَّساتِ المجتمَعِ كافَّةً أن تَضطلعَ بدَورِها في مواجهةِ هذا الفكرِ المنحرفِ، ويَبقى الدَّورُ الهامُّ على الأُسرةِ بحُسنِ الرِّعايةِ وحُسنِ الوِقايةِ للنَّاشئةِ، فدَورُ كلِّ أبٍ وأُمٍّ كبيرٌ في توجيهِ أولادِهم، وتحذيرِهم من التَّأثُّرِ ببعضِ الأفكارِ المُغاليةِ، والتَّطرُّفِ، والوقوعِ في شَرَكِ وخدمةِ أهلِ الضَّلالِ، وأعداءِ المِلَّةِ والدِّينِ، وأعداءِ هذا البلدِ المِعطاءِ.

إن التَّحصينَ الَّذي نُريدُه لشبابِنا هو ترسيخُ المنهجِ الوَسَطِ للإسلامِ، ونَشرُ العِلمِ الشَّرعيِّ في المدارسِ والجامعاتِ والمساجدِ، ونَبذُ الأفكارِ المنحرفةِ المتشدِّدةِ أو المتساهلةِ، مع عَدمِ توزيعِ التُّهمِ دونَ تأنٍّ وتثبُّتٍ، أو تعميمِ الأخطاءِ، أو التَّشكيكِ في منابرِ الدَّعوةِ والإصلاحِ بما لا يقولُه إلَّا حاقدٌ أو حاسدٌ يصطادُ في الماءِ العَكِرِ.

والواجبُ على شبابِ المسلمينَ: التَّبصُّرُ في أمورِهم، والتَّزوُّدُ من العلمِ النَّافعِ، وعلى مَن زَلَّت به القَدمُ أن يعودَ إلى اللهِ ويرجعَ، فإنَّ التَّائبَ من الذَّنبِ كمَن لا ذنبَ له.

حادثُ التَّفجيرِ الآثمِ الَّذي وقعَ في أحدِ مساجدِ مِنطَقةِ الأحساءِ، وما تنطوي عليه هذه الجريمةُ من أبعادٍ خطيرةٍ على شبابِنا حينَ يفرِّطُ بالثَّوابتِ والأصولِ، ويتخلَّى عن علمائِه، ويسلِّمُ قِيادَه لأفكارٍ خطيرةٍ ومناهجَ دخيلةٍ، إنَّها أحداثٌ قائمةٌ على منهجٍ خاطئٍ، وتهوُّرٍ مرفوضٍ، وسفكٍ للدِّماءِ المعصومةِ، وإتلافٍ للأموالِ المحترَمةِ، وإخلالٍ بالأمنِ، إنَّه ليس من دينِ اللهِ في شيءٍ حينَ يَقتلُ نفسَه ظانًّا أنَّه من أهلِ الجهادِ، وما دَرَى أنَّ النَّبيَّ ﷺ قالَ: «مَن قَتلَ نفْسَه بحديدةٍ؛ فحديدتُه في يَدِه يَتوجَّأُ بها في بَطنِه في نارِ جهنَّمَ خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن شربَ سُمًّا فقَتلَ نفْسَه؛ فهو يتحسَّاه في نارِ جهنَّمَ خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا، ومَن تردَّى مِن جبلٍ فقَتلَ نفسَه؛ فهو يتردَّى في نارِ جهنَّمَ خالدًا مخلَّدًا فيها أبدًا» متَّفقٌ عليه [أخرجه البخاريُّ (٥٧٧٨) ومسلمٌ (١٠٩) عن أبي هُرَيرةَ ﷺ].

بل مجرَّدُ الإشارةِ إلى النَّفْسِ المعصومةِ بحديدةٍ فيه مؤاخذةٌ وعقوبةٌ عظيمةٌ؛ قال النَّبيُّ ﷺ: «مَن أشارَ إلى أخيهِ بحديدةٍ؛ فإنَّ الملائكةَ تَلعنُه حتَّى يَدعَه» [أخرجه مسلمٌ (٢٦١٦) عن أبي هُرَيرةَ ﷺ]. وهذا فيه تأكيدُ حُرمةِ المسلمينَ ودمائهم، بل حُرمةِ ترويعِ المسلمينَ وتخويفِهم وإيذائهم، سواءً كان هَزْلًا ولَعِبًا أو جِدًّا، هكذا يُصنعُ بمن أشارَ بحديدةٍ، فكيف بمن استعمَلَها؟!

إنَّ مسألةَ القتلِ العبَثيِّ والعشوائيِّ كما يَحدُثُ في بعضِ الأحيانِ في تلك التَّفجيراتِ الَّتي نسمعُ عنها في مساجدَ وأسواقٍ، فيها من المسلمينَ وغيرِ المسلمينَ، والموحِّدينَ والمُشركينَ، والمؤمنينَ والذِّمِّيِّينَ أو المعاهَدينَ، عندما يكونُ القتلُ عشوائيًّا؛ تَعْلَمُ أنَّ الشَّريعةَ لا يُمْكنُ أن تَرضى بها، ولا أن تُسوِّيَ بيْنَ من يَجوزُ قتلُه وبيْنَ من لا يجوزُ قتلُه، وقدْ قالت الملائكةُ: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ﴾ [البقرة: ٣٠]. ولولا عظمةُ الدِّماءِ عندَ اللهِ؛ ما نَوَّهت الملائكةُ بذِكرِ هذه الجريمةِ من بيْنِ باقي الجرائمِ، إذًا القضيَّةُ خطيرةٌ.

وقد حدَّثنا ربُّنا تبارك وتعالى في كتابِه العزيزِ عن أوَّلِ جريمةِ قتلٍ في الأرضِ، لَمَّا قتلَ أحدُ ابنَيْ آدمَ أخاه، وكانت أول قتلٍ في الأرض، فكُلُّ نفْسٍ تُقْتلُ بَعدَه بغيرِ حقٍّ يكونُ على ابنِ آدمَ الأوَّلِ كفلٌ من دمِها؛ لأنَّه أوَّلُ مَن سَنَّ القَتلَ؛ ﴿مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ كَتَبْنَا عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا﴾ [المائدة: ٣٢]. قال سعيدُ بنُ جُبَيْرٍ –رحمه الله–: (مَن استَحلَّ دمَ مُسلِمٍ؛ فكأنَّما استَحلَّ دماءَ النَّاسِ جميعًا، ومَن حرَّم دمَ مُسلِمٍ؛ فكأنَّما حرَّم دماءَ النَّاسِ جميعًا) [تفسير ابن كثير ٣/٨٤ ط العلمية].

اللَّهُمَّ انصُرْنا على مَن بغَى علينا، ورُدَّ كَيْدَ الرَّوافضِ في نُحورِهم، وخلِّصْ بلادَ اليَمَنِ مِن شرِّهم وفِتَنِهم، واضرِبْ عليهم ذُلًّا وهَوانًا مِن عندِك.

اللَّهُمَّ احفظْ لبلادِنا أمنَها وإيمانَها وعقيدتَها واستقرارَها، ورُدَّ كَيْدَ الكائدينَ في نُحورِهم، واقضِ على أهلِ الفتنةِ والفسادِ والزَّيْغِ والعنادِ من الخوارجِ وأذنابِهم؛ يا ربَّ العالمينَ.

اللَّهُمَّ احفظْ إخوانَنا المُرابطينَ على الحُدودِ، اللَّهُمَّ اكلَأْهم برعايتِك، وارحمهم برحمتِك، وانصرْهم على عدُوِّكَ وعدُوِّهم، اللَّهُمَّ احفظْ لهم أهاليهم وذراريهم، ووفِّقْهم لكُلِّ خيرٍ.

اللَّهُمَّ اجمعْ كلمةَ المسلمينَ على الكتابِ والسُّنَّةِ.

اللَّهُمَّ اهْدِ حكَّامَ المسلمينَ لتَحكيمِ كتابِك، واتِّباعِ سُنَّةِ نبيِّك ﷺ.

اللَّهُمَّ وفِّقْ وَلِيَّ أمرِنا بتوفيقِك، اللَّهُمَّ وفِّقْه لِهداك، واجعلْ عملَه في رِضاك، وارزقْه البِطانةَ الصَّالحةَ النَّاصحةَ الَّتي تدُلُّه على الخيرِ، وتَحُضُّه عليه.

اللَّهُمَّ سدِّدْ رَمْيَ جنودِنا البواسلِ، ورُدَّ كَيْدَ الرَّافضةِ وجميعِ أعداءِ الإسلامِ في نحورِهم.

اللَّهُمَّ احفظِ اليَمَنَ من شرِّ الحَوْثيِّينَ.

اللَّهُمَّ انصرْ جنودَنا، وكُنْ لهم عَونًا ومُعينًا، وسدِّدْ رَمْيَهم، وقَوِّ عزيمتَهم، وبُثَّ الرُّعبَ في قلوبِ عدُوِّك وعدُوِّهم.

اللَّهُمَّ احفظْ بلادَنا وبلادَ المسلمينَ من كلِّ مَكْرُوهٍ؛ يا حيُّ يا قيُّومُ.

عبادَ اللهِ: إنَّ اللهَ يأمرُ بالعدلِ والإحسانِ وإيتاءِ ذي القُرْبى، ويَنهَى عن الفحشاءِ والمُنكَرِ والبغيِ، يَعِظُكم لعلَّكم تذكَّرون؛ فاذكروا اللهَ العظيمَ الجليلَ يَذكُرْكم، واشكُرُوه على نِعَمِه يَزِدْكم، ولَذِكرُ اللهِ أكبرُ، واللهُ يعلمُ ما تصنعون.

أَعَدَّها

د. سعيدُ بن سعد آل حماد

www.alhmmad.net